# تراجع إيراني في اليمن... ومراجعة أميركيّة

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

طرأت في الأيّام القليلة الماضية تطورات في غاية الأهمية على المشهد اليمني. ليس مستبعدا أن تكون لهذه التطوّرات أبعاد على الصعيدين الإقليمي والدولي، كذلك في الداخل اليمني نفسه. لم تعد مدينة مأرب مهدّدة بسقوط وشيك على الرغم من حصار الحوثيين (جماعة أنصارالله) لها من جهات عدّة. لم تعد إيران في وضع يسمح لها بالذهاب إلى مفاوضات في شأن ملفّها النووي مع الإدارة الأميركيّة في فيينا وهي تحمل ورقة مدينة مأرب. كان يمكن لمثل هذه الورقة أن تسمح لإيران بتأكيد أنّها استطاعت إقامة كيان سياسي قابل للحياة في شمال اليمن، عاصمته صنعاء.

**تحول معركة مأرب إلى حرب استنزاف طويلة بين الحوثيين والإخوان المسلمين يبدو أمرا مفيدا. إنّها حرب بين طرفين مستفيدين من استمرار المأساة اليمنيّة بعدما عقدا اتفاقات من تحت الطاولة في ما بينهما**

يمتلك هذا الكيان، من الناحية النظريّة، القدرة على أن يكون دولة مستقلّة ذات وجود على البحر الأحمر عن طريق ميناء الحديدة وثروات كبيرة في ضوء ما تمتلكه مأرب. الأهم من ذلك كلّه سعي إيران عبر وجود كيان حوثي في شمال اليمن لإثبات أنّها باتت جزءا لا يتجزّأ من شبه الجزيرة العربيّة. تماما كما أوجد الاتحاد السوفياتي، السعيد الذكر، في الماضي موطئ قدم له فيها. كان ذلك عن طريق وضع اليد على النظام في اليمن الجنوبي وتحويل "جمهوريّة اليمن الديمقراطيّة الشعبيّة" مجرّد امتداد للاتحاد السوفياتي وسياساته.

يبذل الحوثيون، أي إيران، منذ أشهر عدّة جهودا ضخمة من أجل وضع اليد على مدينة مأرب. لا تأبه إيران بعدد القتلى الحوثيين الذين يسقطون في مأرب وغير مأرب، طالما أن المطلوب تحقيق إنجاز يصبّ في مصلحة "الجمهوريّة الإسلاميّة".

لكنّ التحولات الأخيرة في سير المعارك توحي بتغييرات كبيرة. قد يكون أبرز هذه التغييرات بداية ظهور وعي أميركي لما هو على المحكّ في اليمن والنتائج المترتبة على توجه بدأ برفع الحوثيين عن قائمة الإرهاب الأميركية. سارعت إدارة جو بايدن بعيد دخول الأخير إلى البيت الأبيض إلى رفع الحوثيين عن قائمة الإرهاب الأميركيّة. ظنت أن ذلك سيسهل جلوس "أنصارالله" إلى طاولة المفاوضات من جهة والمشاركة في التوصل إلى تسوية توقف المعارك في اليمن من جهة أخرى.

ستظهر الأيّام القليلة المقبلة مدى عمق التغيير في الموقف الأميركي وما إذا كان هناك وعي لخطورة المشروع التوسّعي الإيراني. بكلام أوضح، ستظهر الأيّام القليلة المقبلة ما إذا كانت واشنطن بدأت تعي أن المشكلة مع "الجمهوريّة الإسلاميّة" ليست في رغبتها في الحصول على السلاح النووي فحسب، بل إن البعد الحقيقي للمشكلة يكمن أيضا في سلوكها خارج حدودها وفي الصواريخ الباليستيّة والطائرات المسيّرة التي تنشرها إيران في المنطقة. في سوريا ولبنان والعراق واليمن... وفي غزّة أيضا. وكانت هذه الطائرات المسيّرة وراء القرار البريطاني القاضي بإعلان "حماس" حركة إرهابيّة في ضوء "امتلاكها قدرات إرهابيّة واضحة".

ثمّة تغيير آخر في غاية الأهمية أيضا على الصعيد اليمني. يتمثّل هذا التغيير في تحوّل حرب مأرب إلى حرب استنزاف بين الحوثيين والإخوان المسلمين ممثلين بحزب التجمع اليمني للإصلاح الشريك الأساسي في "الشرعيّة". انتقل الإصلاح، الذي يسيطر على معظم القوّات التابعة لـ"الشرعيّة"، من موقف الرافض للزج بالمزيد من القوات في معركة مأرب إلى طرف يعتبر نفسه في معركة ذات طابع مصيري. ثمة من يرى أن التحالف العربي، الذي يبذل جهودا كبيرة من أجل منع سقوط مدينة مأرب، دفع في الاتجاه. في كلّ الأحوال، أن تحول معركة مأرب إلى حرب استنزاف طويلة بين الحوثيين والإخوان المسلمين يبدو أمرا مفيدا. إنّها حرب بين طرفين مستفيدين من استمرار المأساة اليمنيّة بعدما عقدا اتفاقات من تحت الطاولة في ما بينهما.

يبقى أن من بين أبرز التغييرات الأخرى في اليمن، دخول قوات جنوبيّة وأخرى شماليّة بقيادة طارق محمّد عبدالله صالح على خط الدفاع عن مأرب. انتقلت هذه القوات من محيط الحديدة ومن مواقع أخرى في الجنوب إلى جبهات مأرب. يعني ذلك أن هناك وعيا جنوبيا لخطورة سقوط مدينة مأرب. فسقوط المدينة سيفتح الأبواب أمام توغل حوثي في المحافظات الجنوبيّة عبر محافظة شبوة. لا يريد الجنوبيون العودة إلى الوحدة أصلا. بات مشروع الوحدة اليمنيّة مشروعا فاشلا منذ ما قبل سقوط علي عبدالله صالح، فكيف إذا كان الحوثيون، الذين لا يمتلكون أي مشروع سياسي أو اقتصادي أو حضاري من أي نوع في صنعاء؟ ليس لدى الحوثيين ما يقدمونه سوى التخلّف والجهل والشعارات البالية مثل صرختهم المعروفة "الموت لأمريكا، الموت لإسرائيل، اللعنة على اليهود، النصر للإسلام". هل تطعم "الصرخة" اليمنيين خبزا وهل تأتي لهم بالأدوية التي تمنع موت أطفال اليمن بالآلاف؟

يبدو المشروع التوسّعي الإيراني وكأنّه بلغ مرحلة بداية التراجع. يمكن أن نكون أمام تراجع إيراني ومراجعة للسياسة الأميركيّة. كانت الانطلاقة الكبيرة لهذا المشروع الإيراني من العراق في العام 2003. من الواضح، في ضوء نتائج الانتخابات النيابيّة العراقيّة الأخيرة أن العراقيين ليسوا متحمّسين للبقاء تحت الوصاية الإيرانية، لا مباشرة ولا غير مباشرة في ظلّ الميليشيات المذهبيّة التي يرعاها "الحرس الثوري".

سيتوقف الكثير على ما إذا كان الحوثيون سيستولون على مدينة مأرب. سيتبيّن ما إذا كانت الإدارة الأميركيّة بدأت تعي معنى ما يدور على أرض اليمن. سيعني ما يجري في مأرب أن "الشرعيّة" بدأت تكتشف أنّها في حاجة بالفعل إلى إعادة تشكيل وأن ليس في الإمكان تركها تتصرّف من دون حسيب أو رقيب. كلّ ما تقدم عليه هذه "الشرعيّة" مثير للشفقة، لا أكثر، في وقت يبدو اليمن في حاجة إلى مقاربة مختلفة. تقوم هذه المقاربة على أن لا فائدة من أيّ بادرة حسن نيّة لإقناع "أنصارالله" بالتفاوض، خصوصا أن هؤلاء مرتبطون بأجندة إيرانية لا علاقة لها بمصلحة اليمنيين. لا يدلّ على ذلك أكثر من اقتحام مقرّ السفارة الأميركية في صنعاء واحتجاز يمنيين من الموظفين المحلّيين في السفارة. هل تفهم إدارة بايدن أخيرا أن هذا هو الردّ الوحيد الذي يمتلكه الحوثيون على إخراجهم من لائحة الإرهاب الأميركيّة؟

ابتعاد شبح سقوط مأرب

# ليست المشكلة في سيف الإسلام القذافي

فاروق يوسف
كاتب عراقي

سيف الإسلام القذافي مواطن ليبي غير أنه حين يترشح لرئاسة ليبيا فإنه يحمل إرث مرحلة غادرها الليبيون أو ما يُفترض أنهم قد فعلوه.

ألا يكفي ذلك سببا مقنعا لرفض ترشحه أو على الأقل عدم التعامل معه بطريقة جادة؟ لن تكون الأمور بمثل ذلك الوضوح في ليبيا التي تسعى لانتزاع نفسها من عشرية لم تكن أفضل حالا من السنوات الأربعين التي حكم فيها القذافي الأب.

ولكن مهما قيل عن الحنين إلى زمن الجماهيرية الخضراء فإن الفوضى التي عاشتها ليبيا بعد مقتل القذافي لم تكن وليدة انهيار نظامه، بل كانت في الجزء الأعظم منها من صنع النظام الذي أخذ معه قدرته على ضبط الأمور وفرض سلطته عن طريق القمع.

كان هناك شعب خائف جرى تدجينه في سياق فوضى منضبطة عبر أربعين سنة من الانفلات المصحوب بالقبضة الحديدية التي لا ترحم. بمعنى أن الفوضى التي انزلق إليها الشعب الليبي هي انعكاس لسلوك كامن كان نظام القذافي قد أرسى قواعده باعتباره نوعا من التحرر من النظام السياسي العالمي.

هل هناك مَن ينكر أن سيف الإسلام هو ابن تلك المدرسة التي كانت له حصة في ابتكار عدد من دروسها التي سيكون وفيا لها؟

ولست هنا في مجال التحذير من إمكانية فوزه في الانتخابات فالرجل مطلوب للجنائية الدولية استنادا إلى تهم بارتكاب جرائم ضد الإنسانية وهو ما يمكن أن يشكل عامل تشكيك في مصداقيته. غير أن الترشح في حد ذاته واقعة تدعو إلى الدهشة. ذلك لأنها تشير إلى واحد من أمرين. إما أن سيف الإسلام هو رجل معتوه لا يفقه شيئا ومرت به الأحداث العجاف التي عصفت بنظام والده ولم يتعلم منها درسا ينفعه، أو أنه يعتقد متأثرا بفلسفة أبيه أن الشعب الليبي لا يستحق أن يُلتفت إليه بسبب تخلفه وعدم قدرته على هضم المعاني العظيمة التي انطوى عليها الكتاب الأخضر الذي يصلح أن يكون إنجيلا للشعب السويدي على سبيل المثال.

في الحالين فإن سيف الإسلام لا يمكن التعامل معه باعتباره إنسانا سويا يمكن أن يؤدي نصحه إلى نتائج جيدة. فالرجل الذي لا يُلام إذا كان والده هو قدوته لا يمكن النظر إليه إلا من جهة انفصاله التام عن الواقع ولن يكون جنون العظمة سوى ملمح واحد من ملامح شخصيته المريضة وهو الذي عاش حياته كلها ابنا للأخ القائد الذي تجاوز إلهامه ليبيا إلى القارة الأفريقية بعد أن عجز العالم عن استيعاب قدراته الخارقة.

وقبل أن تقوم الثورة عليه كان القذافي قد وصل إلى مرحلة بدا فيها رجلا ميؤوسا منه. حاول الكثيرون إصلاحه يوم كان شابا غير أنهم نفضوا أيديهم عنه. لقد أدرك الجميع أن الأوهام قد تمكنت منه وأنه بات سجين عالمه المغلق المسكون بالآلاف من صوره. وليس سيف الإسلام سوى واحدة من تلك الصور المشوهة التي تشبه إلى حد بعيد السخرية التي تظلل محاولة استعادة التاريخ على صفحة الواقع.

لا يقف الشعب الليبي أمام صورة مستعارة من شباب القذافي حين تصدمهم فكرة ترشح سيف الإسلام لانتخابات الرئاسة. الصورة أسوأ بكثير. فمعمر الشاب كان أفضل من القذافي الشيخ الذي تمنى الكثير من أصدقائه رحيله وتفوقوا في ذلك على أعدائه.

في التعامل مع سيف الإسلام علينا أن ننظر إليه من حيث انتهى القذافي الأب فهو خلاصة عصر أبيه. ولكن ما ينبغي علينا أن نتجاوزه هو ذلك العصف المجنون الذي حدا بسيف الإسلام إلى التفكير بأنه الشخص المناسب لإنقاذ ليبيا وشعبها ونفكر بالملايين التي يتألف منها الشعب الليبي والتي لم تُظهر أي شعور بالأسى على نفسها في مواجهة حدث هو في منتهى الرثاثة والمتمثل برغبة القذافي الابن في أن يكون رئيسا. فما هذه الـ"ليبيا" التي لا تتعلم من الألم ولا تربي شعبها على النظر بأمل إلى مواهبه ولا تبدي أي استعداد لمغادرة الماضي الذي دمر أحلامها في بناء أمة؟

**في التعامل مع سيف الإسلام علينا أن ننظر إليه من حيث انتهى القذافي الأب فهو خلاصة عصر أبيه. ولكن ما ينبغي علينا أن نتجاوزه هو ذلك العصف المجنون الذي حدا بسيف الإسلام إلى التفكير بأنه الشخص المناسب لإنقاذ ليبيا وشعبها**

من الصعب أن يُلام سيف الإسلام على ما فعله فهو رجل غير مؤهل لفهم ما لا يعجبه. أليس هو ابن معمر القذافي المقرب؟ تلك وحدها صفة تكفي للتعريف به مجنون حكم وطاغية معلبا. ولكن الشعب المغيب هو المُلام. أربعون سنة كانت كافية لخلق شعب تصعب عليه الثقة بنفسه. شعب لا يتوقع أنه سيكون فعلا مصدر السلطات ويحكم نفسه بنفسه.

ليست المشكلة إذا في سيف الإسلام.

اللوم على الشعب وليس على سيف الإسلام

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
منى المحروقي

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk